مقابلة

جورج شاهين

الأباتي رزق: زيارة البابا تزامنت مع قلق وجودي منحها بُعداً إنسانياً غير مسبوق

شكلت زيارة البابا لاوون الرابع عشر الى لبنان حدثا تاريخيا بارزا، لذلك استحقت قراءة معمقة في نتائجها على المستويات الليتورجية، الروحية، الوطنية والدولية. ذلك ان تحركات البابا خارج اسوار الفاتيكان تجري هندستها على اعلى المستويات الدولية والإقليمية، التي تظلل مواقفه من القضايا الخاصة بالدول التي يزورها

في محاولة لمقاربة نتائج الزيارة وما تركته من انطباعات، حاورت "الامن العام" الرئيس العام للرهبانية المارونية المريمية الأباتي ادمون رزق.

■ ما الذي عنته زيارة قداسة البابا الى لبنان في توقيتها وابعادها بعد محطة روحية في تركيا؟

□ تحمل الزيارة بُعدين متلازمين: روحي وديبلوماسي. ففي لحظة يعاني فيها لبنان جراحا عميقة، قرر الاب الاقدس ان تكون اولى رحلاته الخارجية الى هذا البلد، وكأنه يقول للبنانيين ان آلامكم ليست بعيدة من قلبي، وان حضوركم في الشرق مهم للكنيسة جمعاء. ان اختيار لبنان مباشرة بعد محطة روحية في تركيا، يؤكد ان مستقبل المنطقة وهويتها الدينية المتنوعة يشكلان بالنسبة الى البابا اولوية انسانية وراعوية.

■ ما الذي ميز هذه الزيارة في شكلها ومضمونها عن زيارات البابوات الثلاثة الى لبنان؟

□ لقد تفردت الزيارة بطابعها الشامل في الشكل والمضمون. جاءت في ظرف وطني استثنائي، ومع برنامج مكثف. زار البابا يوحنا بولس الثاني لبنان في لحظة اعادة البناء، والبابا بنديكتوس السادس عشر في مرحلة توتر إقليمي. اما هذه الزيارة، فجاءت في وقت انهيار اقتصادي وقلق وجودي، مما منحها بعدا انسانيا غير مسبوق. وقد شدد البابا قائلا: "لبنان ليست مجرد وطن، بل رسالة"، في تذكير جديد بالكلمة الشهيرة لسلفه القديس يوحنا بولس الثاني، ولكن بروح تتناسب مع جراح الزمن الحاضر.

■ حفلت الزيارة بأيامها الثلاثة ببرنامج مكثف، ما الذي يمكن ان تتوقف عنده بشكل خاص، ولأي اسباب؟

□ من الصعب اختيار محطة من دون اخرى، لكن ثلاث لحظات بدت لي مؤثرة بشكل خاص:

• اللقاء في ساحة الشهداء الذي جمع مسيحيين ومسلمين الذي كان مثابة نداء علني للوحدة والتعايش وقدم مثالا حيا لما يمكن للبنان ان يكونه.

• القداس والصلاة على نية ضحايا مرفأ بيروت، التي تجسدت كفعل رجاء عظيم. فقد كانت مثابة طرد روحي لروح الاستسلام واليأس، تشجع اللبنانيين على لفظ الركون الى العبثية وتعبئة القوى الداخلية للنهوض بإعادة البناء الاخلاقي لعاصمتهم قبل الشروع في الاعمار المادي.

• الزيارة الى ضريح القديس شربل في دير عنايا، وهي محطة فريدة ذات وقع عميق على اللبنانيين وعلى الكنيسة المارونية خصوصا.

■ ما الذي انتهت اليه الزيارة على المستوى الروحي والليتورجي المسيحي؟

□ اول ما حققته الزيارة هو اعادة احياء الرجاء في قلوب المؤمنين. حضور العائلة المسيحية الكبرى - بطاركتهم ورؤساء كنائسهم - اظهر ان المسيحيين في لبنان والشرق متحدون في المصير والرسالة. في احد خطاباته، وجه البابا نداء قويا للكهنة والرهبان قائلا: "في لبنان اليوم، انتم مسؤولون عن الرجاء". هذا النداء كان بمثابة خارطة طريق روحية للمرحلة المقبلة.

■ شكلت الزيارة الى ضريح القديس شربل ما لا يمكن ادراكه بعد، فهل هي سابقة ان يركع البابا امام ضريح قديس؟

□ هي لحظة ستبقى محفورة في الذاكرة الروحية للكنيسة المارونية. ركوع البابا امام الضريح ليس امرا مألوفا، رغم انه صلى عبر التاريخ عند اضرحة عدة. لكن في حالة القديس شربل، فان رمزية القديس في لبنان والعالم تجعل هذه اللحظة تتجاوز الطقس لتبلغ رسالة روحية عميقة. لقد اوكل الاب الاقدس احتياجات العالم لشفاعته، مع ابتهال ملح: من اجل الكنيسة طلب الشركة والوحدة، ومن اجل العالم طلب السلام مع صلاة خاصة للبنان والمشرق بأكمله.

■ كان لافتا لقاء البابا مع رؤساء المذاهب الاسلامية الاربعة في حريصا، كيف يمكن تقييم هذا اللقاء؟

□ كانت اللقاءات علامة واضحة على ان لبنان لا يبنى من دون شراكة ابنائه كافة. اللقاء مع القادة المسلمين في حريصا - اضافة الى اللقاء الموسع في وسط بيروت - شكل رسالة اخوة انسانية. وقد قال البابا يومها: "يمكننا ان نجد معنى للرجاء والعزاء عندما نركز على ما يجمعنا، اي على انسانيتنا المشتركة، وايماننا بإله المحبة والرحمة. في زمن يبدو فيه العيش معا حلما بعيد المنال، يبقى شعب لبنان، بدياناته المختلفة، مذكرا بقوة بأن الخوف، وانعدام الثقة والاحكام المسبقة ليست لها الكلمة الاخيرة، وان الوحدة والشركة، والمصالحة والسلام امر ممكن. انها رسالة لم تتغير عبر تاريخ هذه الارض الحبيبة: الشهادة للحقيقة الدائمة بأن المسيحيين والمسلمين والدروز وغيرهم كثيرين، يمكنهم ان يعيشوا معا ويبنوا معا وطنا يتحد بالاحترام والحوار". بهذه البساطة، وبهذه القوة، رسم قاعدة العيش المشترك.

■ كيف تفسر المذكرة التي رفعها نائب رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى بعدما تعدت الشأن الديني الى السياسي؟

□ ان تسليم مذكرة ذات بعد سياسي وأمني يعكس ادراكا لدى الاطراف اللبنانيين بأن صوت البابا مسموع دوليا. هذا لا يعني دخول الفاتيكان في نزاعات محلية، انما يدل على ثقة بأن الاب الاقدس قادر على ايصال نبض اللبنانيين الى العواصم المؤثرة.

■ كيف قرأت الخلوات القصيرة التي عقدها البابا مع رئيس الجمهورية ورئيسي مجلس النواب والحكومة في بعبدا؟

□ كانت لقاءات قصيرة في الزمن، لكنها مهمة في الدلالة. لقد حمل البابا الى القادة الثلاثة رسالة محورها الدولة تبنى بالتلاقي لا بالتنازع. ثمة اجماع على ان هذه الجلسات سمحت للبابا بسماع الواقع من المصادر الاساسية، وللقادة بسماع الحقيقة من صوت لا يسعى الا الى خير لبنان.

■ تجنب قداسته تناول العناوين السياسية في كلماته الا تلميحا ولم يتحدث عن "حصر السلاح" الا في طريق العودة. ما الذي يعنيه ذلك، وهو الى جانب صفته الكنسية رئيس دولة ايضا؟

□ لأن الاب الاقدس يدرك حساسية الوضع اللبناني، فهو من جهة راع للشعب كله، ومن جهة اخرى رئيس دولة. لذلك اختار ان يعطي المبادئ لا التفاصيل، وان يكرر ما قاله بوضوح: "لا سلام من دون توبة القلب". عندما تحدث بشكل غير مباشر عن قضية السلاح في طريق العودة، اراد احترام خصوصية الساحة اللبنانية من دون اغفال الحقيقة الاخلاقية.

■ لمح قداسته الى اتصالات شملت قادة ورؤساء الدول الكبرى على خلفية ما يمتلكه الفاتيكان من قوة ديبلوماسية، فما الذي يمكن تحقيقه؟

□ الفاتيكان يملك قدرة اخلاقية ورمزية تترجم الى تأثير سياسي غير مباشر. فالاتصالات التي اشار اليها الاب الاقدس يمكنها ان تساهم في دعم مبادرات انسانية، فتح قنوات تفاهم، وتشجيع القوى الكبرى على عدم ترك لبنان ينهار.

■ اجمعت السيناريوهات عما هو متوقع من هذه الزيارة ودعت الى رصدها بدقة، فما الذي تتوقعه؟

□ من الصعب رصد النتائج فورا، لأن أثر الزيارات البابوية عادة يتراكم ببطء. يمكن انتظار تعزيز الاهتمام الدولي بلبنان، تحريك قنوات الفاتيكان الانسانية، دعم المؤسسات الكنسية، تشجيع الحوار الداخلي. لكن التغيير الجذري يحتاج تعاون القوى اللبنانية نفسها. وقد قال لنا البابا: "انتم شعب لا يستسلم، بل يقف امام الصعاب ويعرف دائما ان يولد من جديد بشجاعة. صمودكم هو علامة مميزة لا يمكن الاستغناء عنها لصانعي السلام الحقيقيين. في الواقع، عمل السلام هو بداية متجددة ومستمرة".

الرئيس العام للرهبانية المارونية المريمية الأباتي ادمون رزق.

"مستقبل المنطقة وهويتها الدينية المتنوعة يشكلان بالنسبة الى البابا اولوية انسانية وراعوية"

■ طالما ان السباق قائم بين الخيارات العسكرية وتلك الديبلوماسية، ما هو دور الفاتيكان؟

□ هذا السباق ويا للأسف سيبقى ما دامت العوامل الاقليمية مؤثرة في الداخل اللبناني. لكن للديبلوماسية الفاتيكانية دورا مهما في تهدئة الخطاب، تشجيع الحوار، دفع القوى الدولية لدعم الاستقرار. وقد خاطبنا البابا بكلمات مفعمة بالرجاء، فقال "انتم بلد متنوع، وجماعة مكونة من جماعات، لكنها موحدة بلغة واحدة، لغة الرجاء، اللغة التي سمحت لكم دائما بأن تبدأوا من جديد. لغة الرجاء التي تجمع الجميع ليبدأوا دائما من جديد"، وهذه العبارة تختصر البرنامج الوحيد القادر على انقاذ الوطن.